المنظور في اللسانيات المعرفية: المفهوم والإجراء

د. هيدالله مولود مزايط[1]
جامعة القاضي عياض ، مراكش ، المغرب
mouzait79@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/01/02 تاريخ القبول: 2019/11/26 تاريخ النشر: 2019/11/20

الملخص:

تنخرط هذه المقالة في سياق البحوث الحديثة التي تسعى إلى تعريف القارئ العربي بما جدّ في ميادين الدراسات اللغوية عامة، وخاصة اللسانيات المعرفية بفروعها البحثية المتنوعة، وذلك من خلال التركيز على مفهوم المنظور (perspective) كما جاء عند ليونارد تالمي (Leonard Talmy) في مصنفه المرجعي (نحو دلاليات معرفية)؛ ولا تكتفي هذه المقالة بمجرد تقديم هذا المفهوم، وبيان خصوصياته وسيرورة تكوينه، بل إنها تروم تفعيل فاعليته التحليلية بوصفه إجراء تأويليا قد يمكن من حلّ بعض المشكلات التأويلية المتعلقة بقراءة وفهم النص القرآني.

الكلمات المفاتيح: اللسانيات المعرفية، الدلاليات المعرفية، المنظور، التأويل، النص القرآني.

Abstract:

The purpose of this research is to identify the concept of 'perspective'as it is presented in cognitive linguistics, and specially in cognitive semantics (Leonard talmy). So,This article does not merely present the concept and its specificities and the process of its formation; Rather, it aims to activate its analytical effectiveness as an interpretative procedure that may solve some problems related to reading and understanding the Qur'anic text.

Keywords: cognitive linguistics, cognitive semantics, perspective, interpretation, the Qur'anic text

[1].- **المؤلف المرسل:** د. هيد الله مولود مزايط **الإيميل:** mouzait79@gmail.com

توطئة:

تتغيا هذه المقالة تحقيق جملة من الأهداف منها: أولا، تقديم مفهوم المنظور perspective للقارئ العربي من خلال تتبع المسار التاريخي الذي قطعه لينتقل من ميدان الفنون والعلوم الهندسية والبصرية،حتى يجد له موطئ قدم في العلوم الإنسانية والعلوم اللغوية عموما، واللسانيات المعرفية خصوصا؛ وثانيا، بيان تصور اللسانيات المعرفية لهذا المفهوم باعتباره أداة مساعدة على فهم الطابع التجريبي للظاهرة اللغوية؛ وثالثا، محاولة الاستفادة من الإمكانات التصورية والمنهجية التي يتيحها هذا المفهوم عند محاولة تشغيله في دراسة الظاهرة اللغوية عموما، والنصالقرآني خصوصا،كي يساعد القارئ في بناء المعنى،وفي اجتراح جملة من المسالك التأويلية التي قد تحل مغاليق بعض الإشكالات التأويلية المرتبطة بفهم القرآن الكريم.

وتتأسس هندسة هذه المقالة على تصميم يشتمل على مجموعة من المحطات: 1- تعريف المنظور وإعطاء لمحة تاريخية عن تطوره من الدراسات الهندسية والبصرية والفنية إلى العلوم الإنسانية، ثم إلى الدراسات اللسانية وخاصة مجالات تحليل النصوص الأدبية، وصولا إلى اللسانيات المعرفية، 2- تقديم عرض موجز عن اللسانيات المعرفية نشأة وأسسا وخلفيات، 3- بسط تصور بعض اتجاهات اللسانيات المعرفية للمنظور، وخاصة اتجاه الدلالة المعرفية لـ(ليونار تالمي(Leonard Talmy، وأخيرا 4- محاولة توظيف مفهوم المنظور بوصفه إجراء تأويليا لسانيا معرفيايمكّن من إلقاء بعض الضوء على ما استغلق من إشكالات تأويلية في سورة قرآنية قصيرة هي سورة: التكوير.

1- المنظور: لمحة تاريخية:

يحيل المصطلح العربي"منظور"على مقابله الغربي (perspective)، هذه الكلمة التي تعود في أصولها التأثيلية إلى الاسمين اللاتينين (perspectivus) و (perspectus)، اللذان يرجعان بدورهما إلى الفعل اللاتيني (perspicere)، المؤلف من (picere) التي تعني نظر ولاحظ، ومن السابقة (per) التي تعني عَبْر، فيكون معنى(perspicere) هو نظر عبر أو اخترق الأشياء بالنظر (pénétrer par le regard) .

وقد نشأ هذا المصطلح في القرون الوسطى في مجال عملي هو مجال البصريات وما تعلق به من هندسة وفنون رسم، إذ يشير المعجم التأثيلي الفرنسي إلى أن ظهور هذه الكلمة في اللغة الفرنسية كان في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي، متأثرة في حينه بالكلمة الإيطالية (prospetiva) التي تشكلت معالمها في ميدان الرسم أساسا [1].

إن مصطلح المنظور بوصفه تقنية في الرسم والتمثيل الهندسي يتأسس على تصوير الأشياء ثلاثية الأبعاد على سطح مستو، بحيث تتضاءل الأبعاد تدريجيا في نقطة تسمى نقطة التلاشي أو نقطة

الفرار (vanishing point)[2]؛ فالمنظور إذن هو عملية إسقاط الأجسام المرئية على سطح منبسط، لا كما هي في الواقع ولكن كما تبدو لعين الناظر في وضع معين وعلى بعد معين، أي في مركز النظر أو في نقطة المراقبة (vantage point).

ويعود اكتشاف ما يتعلق بالمنظور إلى عصر النهضة الأولى- القرنين الثالث عشر والرابع عشر-، حيث قام المعماري والرسام والنحات الإيطالي (فيليبو برونيليسكي) (Filippo Brunelleschi) (1377-1446) بوضع قواعد المنظور، وتبعه المعماري والرسام (ليون باتيستا ألبيرتي) (Léon Battista Alberti) (1404-1472)،الذي قام بكتابة أول مخطوط عن رسم المنظور. وظهر أول كتاب في تعليم المنظور للرسام الإيطالي (بييرو دولا فرانشيسكا)(Piero Della Francesca) (1406-1492)؛ إلا أن الفنان العبقري الشهير (ليوناردو دافينشي) (Leonardo da Vinci)(1452-1519) يعتبر أول من أوجد نقطة التلاشي واستعملها في رسم المناظير[3].

ويبدو أن مفهوم المنظور لم ينحصر استعماله فقط في الميادين المعرفية والفنية المذكورة، أي الرسم والبصريات والهندسة، بل امتد أثره بعد عصر النهضة ليشمل مجالات معرفية وتطبيقية أخرى، لعل ما يهمنا منها هو ميادين الفلسفة والعلوم الإنسانية وعلوم الأدب.

لقد عمل الفيلسوف الألماني (غوتفريد فيلهيلم لايبنتز) (1646-1716) (Gottfried Wilhelm Leibniz) انطلاقا من فلسفته المونادولوجية[4]، على إدماج المنظور وزاوية النظر في مشروعه الفلسفي، حيث اعتبرهما يشكلان سمات دالة على المعرفة الإنسانية، فكل تمثيل أو تصور معرفي يتعلق بالنقطة التي ينظر من خلالها المفكر والمتأمل؛ يقول (ليبنتز): «صحيح أن الشيء نفسه يمكن أن يمثل بطرق مختلفة، ولكن ينبغي أن تكون هناك دائماصلة واضحة بين التمثيل والشيء الممثل، وبالنتيجة، بين التمثيلات المختلفة للشيء نفسه»[5].

إن الفلسفة كانت هي البوابة التي ولج منها مفهوم المنظور إلى ميادين العلوم الإنسانية، خاصة علم الاجتماع وعلم النفس؛ ففي علم الاجتماع تبنى السوسيولوجي الأمريكي (هيربرت ميد)(1863-1931) (George Herbert Mead) مفهوم المنظور في النظرية الاجتماعية المشهورة: التفاعلية الرمزية التي يعد من مؤسسيها الأوائل، فقد ركز في هذه النظرية على أهمية تصورات الآخرين عن ذواتنا، ودورها في تشكيل وعينا بذاتنا وفهمنا الموضوعي لشخصيتنا، كما بيّن أيضا كيف ينمو العقل والنفس عبر التفاعل الاجتماعي، فوفقا لـ(ميد) لا يمكن للذات أن تتشكل دون مجموعة اجتماعية سابقة، وهو يعتبر أن هذه العملية تتطلب التواصل مع الآخرين من خلال الإيماءات والإشارات والرموز، فضلا عن القدرة على أخذ دور"الآخرين" أو أخذ "منظورهم" taking the other's perspective، ويعتقد (ميد) أن

القدرة على القيام بدور الآخر يسهم في تطوير الذات الفردية والجماعية، فالطفل الصغير يحتاج وقتا معتبرا حتى ينتقل من مرحلة أحادية المنظور، حيث النظر إلى العالم يُختصر اختصارا في نظرة أحادية الجانب متمركزة على منظور واحد، إلى مرحلة تعدد المنظورات التي تسمح للطفل بأن يتمثل فكرة جوهرية مفادها أن كل نظرة للعالم تظل نسبية ومتعلقة بنقطة أو اتجاه معينين[6].

وبانتقالنا إلى مجال علم النفس، فإننا نجد الأمريكي (جون فولكمان)(1906-1990) (John volkmann) أول عالم نفس تجريبي يُعنى بدمج مصطلح المنظور في تحليلاته النفسية-الجسدية، فقد أصدر مقالا سنة 1951 بعنوان: "مقاييس الحكم وآثارها على علم النفس الاجتماعي"، بين فيه أن دراسة أحكام المتعلمين تمثل هدفا مهما للتربية، إذ أنها تسهم في توسيع آفاقهم وتمنحهم مناظير أوسع وأفضل، مما يُكسبهم نظرة للعالم تكون أكثر شمولية ورحابة، وأكثر قبولا بالتباين والاختلاف[7].

ولم يلبث مصطلح المنظور أن استفاد من الثورة المعرفية التي عرفتها اللسانيات في القرن العشرين، وخاصة في جانبها البنيوي وما تعلق بالنظريات البنيوية في تحليل الخطابات والنصوص الأدبية في أبعادها ومستوياتها الشكلية، حيث عرف مفهوم المنظور تطويرا كبيرا في تحليل النصوص السردية، خاصة مع نقاد الرواية الانجلوساكسونيين في شخص كل من (هنري جيمس)و (واين بوث)، فضلا عن مدرسة باريس مع (رولاند بارت) و(جيرار جينيت) و(تزيفتان تودوروف) و(كلود بريمون) وآخرين؛ وإن كان من فضل لهؤلاء الباحثين فهو أولا إرجاع مفهوم المنظور إلى أصله التقني المرتبط أساسا بالنظر والملاحظة، بعد أن أصبح –كما رأينا ذلك عند الفلاسفة وعلماء الإنسانيات- مفهوما مطواعا يراد به الأفق والاتجاه والنسبية في الرأي وما إلى ذلك.

وإذا كان المنظور مصطلحاً يستمد أصوله من الفنون التشكيلية، فإنه نُقل إلى المجال الروائي، ليوظّف نقدياً، ويعبّر عن رؤية النفس المدركة للأشياء، إنه وجهة النظر التي تحكم وضع الراوي في القصة: فإذا كان الراوي هو الشخص الذي يروي السرد، فإن الرؤية السردية هي الطريقة التي ينظر بها الراوي إلى الأحداث عند تقديمها، أو هي وجهة نظره.

لقد بلور (هنري جيمس) مصطلح وجهة النظرفي مطلع القرن الماضي، ثم جاء الناقد الفرنسي (جان بويون) ففصّل القول فيه في كتابه (الزمن والرواية) الصادر سنة 1945 ، وقسّم زاوية الرؤية إلى أنواع ثلاثة، هي:

1- الرؤية مع، وتتساوى فيها معرفة الشخصية بمعرفة الراوي.

2- الرؤية من الخلف، ويكون الراوي فيها عليماً بكل شيء، محيطاً بالأحداث.

3- الرؤية من الخارج، ويكون الراوي فيها أقل معرفة من الشخصية.

أما (تودوروف) فقد ميّز بين الحكي: كقصة وكخطاب، وأبرز إمكانية تحليل الخطاب السردي من جهة الزمن، والصيغة، والجهة، كمقولات للحكي، انطلاقاً من استيحاء اللسانيات، واعتبر جهات الحكي هي الطريقة التي بوساطتها تُدرك القصة عن طريق الراوي في علاقته بالمتلقي.وقد استعاد تصنيف (بويون) للرؤيات السردية، مع بعض التعديلات الطفيفة:

1- الراوي>الشخصية، حيث يعرف الراوي أكثر من الشخصية. (الرؤية من خلف).

2- الراوي = الشخصية، حيث يعرف الراوي ما تعرفه الشخصيات. (الرؤية مع).

3- الراوي <الشخصية، حيث تتضاءل معرفة الراوي. (الرؤية من الخارج)[8].

وقبل أن نلقي بعض الأضواء على مفهوم المنظور في اللسانيات المعرفية، هذا الاتجاه اللساني الحديث نسبيا، نرى أنه من المناسب أن نقدم له أولا من خلال بيان أبرز رواده وأهم أسسه وخلفياته النظرية.

1- اللسانيات المعرفية: الأسس والمبادئ

تعد اللسانيات المعرفية cognitive linguistics (أو العرفانية أو العرفنية أوالإدراكية)[9]من التخصصات المعرفية الأكثر حضورا ونشاطا في العقود الأخيرة، في ميادين اللسانيات والدراسات اللغوية خصوصا، والعلوم المعرفية الإنسانية عموما؛ فمنذ سبعينات القرن الماضي وهذا التيار اللساني يحقق من الإنجازات ويراكم من الفتوحات العلمية ما جعله يتبوأ مكانة معتبرة على الساحة المعرفية العالمية، خاصة بفضل مجهودات رواده الأوائل: (جورج لايكوف George Lakoff) و(ليونارد تالمي Leonard Talmy) و(رونالد لانغايكر Ronald Langacker).

إن مشروع اللسانيات المعرفية يتمحور حول الكشف عن طبيعة العلاقات القائمة بين اللغة البشرية والعقل والتجربة السوسيو– فيزيقية للوجود الإنساني[10]، إنها تيار أو حركة تضم العديد من الحساسيات والاتجاهات والمقاربات التي تستمد مناهجها ومشاريعها من مرجعيات مختلفة؛ فهي،إذا ما شئنا تصويرها استعاريا، أقرب لأن تمثل أرخبيلا من التخصصات المعرفية، منها لأن تكون جزيرة واحدة قائمة الوجود ومتحققة الكيان[11]، إذ تنفتح على العلوم المعرفية والفلسفة وعلم النفس المعرفي والعلوم العصبية والعلوم الحاسوبية والجشطلتية...

ويتفق العلماء المنضوون تحت لواء هذا التيار المعرفي الذي نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية على مجموعة من الأسس الموجهة يمكن إجمالها في أربعة كما يلي:

*رفض أهم الأسس النظرية التي نهض عليها النحو التوليدي لـ(تشومسكيNoam Chomsky)، فاللسانيات المعرفية هي لسانيات لاتشومسكية أولا وأخيرا.

*الاهتمام بالمعنى في أبعاده الوظيفية والتداولية، على عكس اللسانيات التوليديةالصورية التي همشت الدلالة في مشروعها البحثي، فاللسانيات المعرفية هي لسانيات وظيفية في عمقها.

*استحضار منجزات وتصورات العلم المعرفي ودمجها في مدخلات الدراسة اللسانية.

* الاهتمام بالتفكير الاستعاري، والنظر إلى الصور الشعرية من منظار التعبير عن التجربة الإدراكية للعنصر البشري.

وأما أبرز المبادئ التي يجتمع عليها رواد التيار اللساني المعرفي فمنها أنّ:

- الأطفال ليسوا مزودين بملكة نحو كليتسمح لهم باكتساب نحو يناسب بنية لغوية معينة، وهذا يعني أن المقاربات الخاصة باللسانيات المعرفية هي مقاربات تجريبية على عكس النحو التوليدي الذي يظل مثاليا.
- ترفض الحساسيات المشتغلة في اللسانيات المعرفية نظرية المكونات القالبية المنفصلة للدماغ (مكون التركيب، مكون المعجم، مكون الدلالة...) فكل المكونات متداخلة.
- إن هذا التصور النسقي للمكونات القالبية المشكلة للملكة اللغوية سيمتد ليشمل هذه الملكة أيضا، فاللسانيات المعرفية تعتبر أن الملكة اللغوية ليست منفصلة عن باقي الملكات المعرفية الأخرى، بل هي مندمجة في الكلية المعرفية الإنسانية.
- إن ما يميز اللسانيات المعرفية هو انطلاقها من كون المعرفة اللسانية لا تتحصل فقط من خلال معرفة اللغة، ولكن أيضا من خلال معرفة العالم بوصفه منقولا بواسطة اللغة، وهي ما يتم التعبير عنه بالطابع الموسوعي للمعنى اللغوي.
- لقد عدلت اللسانيات المعرفية من محور الوصف اللساني، فإذا كان النحو التوليدي يركز على النحوية وما هو مقبول نحويا، فاللسانيات المعرفية تركز بالأساس على طبيعة البنية التصورية، وعلى الإجراءات والسيرورات الذهنية التي يتم عبرها ومن خلال بناء هذه البنية؛ فإذا كان النحو التوليدي يهتم بمعرفة اللغة والبنيات الذهنية المتحكمة فيها، فإن اللسانيات المعرفية تهتم بالمعرفة المحصلة عن طريق اللغة.
- لقد درس (تشومسكي Noam Chomsky) اللغة بمعزل عن أي سياق تواصلي، فهي مقاربة صورية تنهض أساسا على المكون التركيبي، وذلك لصعوبة القبض على المعنى، وكان من

نتائج هذا القرار أن تم الفصل بين التركيب والدلالة، هذه الاستقلالية التي ترفضها اللسانيات المعرفية، جعلت من المكون الدلالي هامشيا في النسق التشومسكاوي، وجعلت من سؤال المعنى غير ذي بال في هذا النسق. لقد جعلت اللسانيات المعرفية قضايا الدلالة والمعنى في قلب أجهزتها المفاهيمية والإجرائية، وهذا ما جعلها تهتم بالأبعاد الوظيفية والتداولية للظاهرة اللغوية.

- وإذا كانت عدة اتجاهات لسانية قد صبت كل جهدها لتلمس القضايا الحافة بسؤال المعنى، فإن ما يميز اللسانيات المعرفية في مناولتها لقضايا الدرس الدلالي هو نظرتها المتميزة والمختلفة للمعنى، فالمعنى اللسانيبالنسبة للسانيات المعرفية:

- مؤسس على الاستعمال والتجربة،
- موسوعي،
- دينامي ومرن وليس ثابتا،
- منظوري perspectival.

فماذا يقصد بمنظورية المعنى عند نظار اللسانيات المعرفية، وخاصة عند (ليونارد تالمي) رائد الدلاليات المعرفية؟

2- المنظور عند (ليونارد تالمي):

يعتبر (ليونارد تالميLeonard Talmy) في كتابه (نحو دلالة معرفية[12]) أن نظام المنظور يعد واحدا من الأنظمة الخطاطية schematic systems التي تكون مجتمعة نظام بناء المفاهيم، والأنظمة المذكورة هي نظام التشكيلات[13]configurations system، ونظام الانتباه attentional system[14]، ونظام دينامية القوىdynamics forces system[15]، ثم النظام المنظوري perspectival system.

وأما النظام المنظوري فإنه يقوم بدوره على أربع مقولات خطاطية هي: الموقع المنظوري أو قل نقطة النظر الفضائية التي يختار المتكلم التموقع فيها، والمسافة المنظورية التي تفصله عن الكيان المرجعي، والنمط المنظوري أو قل حركة نقطة المنظور أو ثباتها في الزمن، واتجاه النظر من الموقع المنظوري إلى الكيان الذي يتم توجيه النظر صوبه.

1-3 مقولة الموقع المنظوري: يذهب(تالمي) أن العناصر اللغوية المكونة للجمل والخطابات، سواء أكانت معجمية أم نحوية، قادرة على تحديد وتعيين الموقع المنظوري، أي تلك النقطة التي يتموضع الناظر فيها، ومن خلالها يتم النظر إلى المشهد المتحدث عنه؛ ويعد تالمي صنف الإشاريات (deixis) (الضمائر، الظروف، حروف الجر...) من أبرز العناصر اللغوية التي تمكن من التعرف على موقع الناظر في القول. ومن أجل تجلية شأن الموقع المنظوري في الخطابات، يقدم تالمي المثال التالي:

(1)- جلست على كرسيها الهزاز قرب سريرها ونظرت عبر النافذة. كم كانت السماء رائعة!

حيث يلاحظ أن هناك اختلافا جليا بين طرفي هذا المثال، إذ تم تعديل الموقع المنظوري وتحويله من موضع إلى آخر، ففي الوحدة الخطابية الأولى (جلست على كرسيها الهزاز قرب سريرها ونظرت عبر النافذة)،استعان المتكلم بضمير الغائب (هي)، كما أن وصفه للمشهد جاء موضوعيا، حيث اكتفى بنقل ما يوجد في الغرفة بكل حياد وتقريرية، وكل هذه الاعتبارات تدفع بالمستمع لأن يجعل نقطة منظوره في مكان ما من الغرفة، مكان يسمح له برؤية واضحة للمرأة الجالسة على كرسيها.

أمّا في الوحدة الخطابية الثانية (كم كانت السماء رائعة!)، فإن أسلوب التعجب، والعبارة الكاشفة عن الإحساس الذاتي للمتكلم بجمال السماء، يجعلان المستمع يعدل نقطة منظوره، وينقلها من الموضع السابق إلى موضع جلوس المرأة، لكن هذه المرة، من خلال النظر عبر عينيها.

ولا يتعلق تحديد الموقع المنظوري بالعناصر اللغوية المذكورة فقط، بل لا بد من اعتبار الخبرات الإنسانية أيضا في بناء المعنى؛ ولإضاءة هذا النوع من الخبرات، يعرض (تالمي) لمثال آخر يقارن فيه بين قولين يبدوان في الظاهر متشابهين:

(2)- فُتح باب الغرفة ببطء وولج شخصان.

(3)- فَتح شخصان باب الغرفة ببطء وولجا من خلاله.

ففي المثال الأول يكون موقع نقطة المنظور متحددا داخليا، أي داخل الغرفة، فالمتكلم لم ير في بادئ الأمر القائم بفعل الفتح، فهو يتحدث عن فاعل خارج الغرفة؛ أما في المثال الثاني فنقطة المنظور خارجية، فهي تقع خارج الغرفة، أي أن المتكلم تابع مشهد الشخصين اللذين يفتحان باب الغرفة ويلجان داخلها؛ ويؤكد (تالمي) أن استنتاج محل تواجد نقطة المنظور ينهض على مسلمة تشكل خبرة إنسانية عند متكلمي اللغة الإنجليزية، مفادها أنه: إذا كان المتدخل في الحدث مرئيا للمتكلم، فلا بد أن يكون مذكورا في القول الواصف للحدث، أما إذا كان المتدخل غائبا، فيجب أن يكون محذوفا[16].

2-3 مقولة المسافة المنظورية: ويقصد بها المسافة التي تفصل بين الموقع المنظوري وبين المرجع المتحدث عنه، ويميز (تالمي) بين ثلاثة أنواع من المسافات المنظورية: القريبة والمتوسطة

والبعيدة، ومعلوم أنه كلما تغيرت المسافة بين نقطة المنظور وبين الكيان المنظور إليه كلما تغير مجال النظر، وتحولت أبعاد الأشياء التي ينصبُّ عليها النظر تخصيصا أو تعميما بحسب مقاصد التخاطب، ففي حالة المسافة المنظورية البعيدة يكون مجال اهتمام الناظر واسعا، وتبدو أبعاد الكيانات الملاحظة دقيقة، وتتشكل معالم إطار صورة شمولية تركز على الشكل العام دون التعمق في التفاصيل والجزئيات؛ أما في حالة المسافة المنظورية القريبة، فإن مجال الاهتمام يكون مقلصا ومحددا، وأبعاد الكيانات الملاحظة تكون أكثر بروزا وكبرا، فيُصاغ القول في إطار صورة صغيرة تشتغل بالاهتمام بالتفاصيل الدقيقة.

3-3 مقولة النمط المنظوري: وتتعلق هذه المقولة بحركية المنظور، أي بالسؤال عن نقطة المنظور أتكون ثابتة أم متحركة؟ ويربط (تالمي) بين هذه المقولة والتي قبلها، ويبني على ذلك ليفرع نمطين منظوريين هما:

- النمط المنظوري الإجمالي: ويتحلى هذا النمط باعتماد مسافة منظورية بعيدة من نقطة ثابتة، مع نطاق اهتمام واسع وشامل.
- النمط المنظوري التسلسلي: ويتميز هذا النمط بالتوسل بمسافة منظورية قريبة من نقطة متحركة، مع نطاق اهتمام موضعي.

وسعيا للإيضاح، ينشئ (تالمي) مثالا يقترح فيه مشهدا لعدة منازل متباعدة على وادي من الأودية، ويبين كيف يتحول النمط المنظوري تبعا لتعديل بعض الكلمات:

(4)- توجد بعض المنازل في الوادي[17].

(5)- يظهر منزل بين الفينة والأخرى على طول الوادي[18].

ففي المثال (4) هناك اعتماد على منظور من النمط الشمولي، ومن المؤشرات اللغوية والنحوية التي تبرز هذا النمط المنظوري: استعمال صيغة الجمع (منازل)، والكلمة (بعض) الدالة على كمية إجمالية معتدلة، فضلا عن الظرف (في) الدال على ثبات المكان وتعينه.

أما في المثال (5)، فقد تم اللجوء إلى منظور ذي نمط تسلسلي، فصيغة الجمع تحولت إلى صيغة المفرد (منزل)، كما أن الظرف المثبّت المعيّن (في) تحول إلى ظرف دال على الانتقال والحركة (على طول)، هذا بالإضافة إلى الظرف الزمني (بين الفينة والأخرى) الذي يفصح عن وجود كمية متفرقة...هكذا يكون التحول قد وقع على مستوى نمط المنظور، من صورة ثابتة لأشياء متعددة، إلى صورة متحركة متدرجة لأحداث ومشاهد متعاقبة.

4-3 مقولة اتجاه النظر: تتفاعل هذه المقولة بشكل وثيق مع نظام الانتباه أو بؤرة التركيز والاهتمام، وهي تهتم بالاتجاه الذي يُنظر من خلاله إلى الحدث، في علاقة بنقطة منظور معينة؛ ويمكن لاتجاه النظر أن يكون استقباليا prospectiveأو استرجاعياretrospective ، وهو ما سيتم توضيحه من خلال المثالين والخطاطتين التاليتين:

(6)- أنهى عمر احتساء كوب القهوة قبل أن يغادر صوب بيته.

(7)- قبل أن يغادر صوب بيته، أنهى عمر احتساء كوب القهوة.

إن التقديم والتأخير الواردين في هذين المثالين لا يعكسان انقلابا في ترتيب الأحداث، ففي كليهما يسبق حدث الانتهاء من احتساء كوب القهوة حدث المغادرة صوب البيت، لكن الذي اختلف هو الاتجاه الذي من خلاله تم النظر إلى الحدثين، فالاتجاه في (6) استقبالي، بينما هو في (7) استرجاعي، وهو ما تمثله الخطاطتان التاليتان:

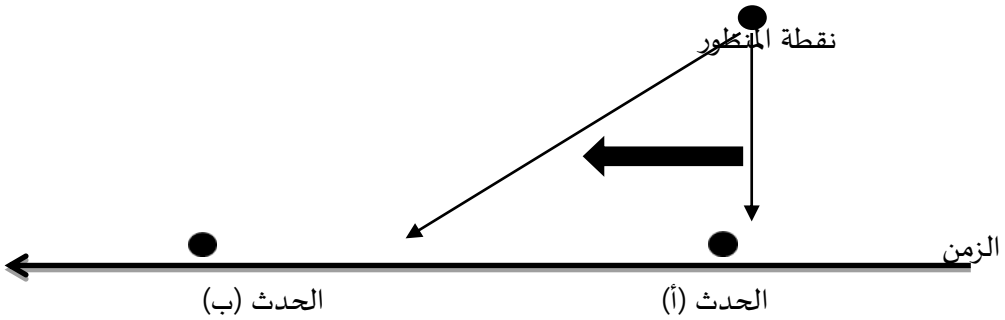

خطاطة (1): الاتجاه الاستقبالي

ففي الاتجاه الاستقبالي، يتم النظر إلى سلسلة الأحداث من خلال منظور الحدث الذي وقع أولا (الحدث (أ): الانتهاء من احتساء كوب القهوة)، فالمتكلم يجعل بؤرة اهتمامه على هذا الحدث المتقدم زمنيا، لينظر إلى الحدث الذي يليه لاحقا، في إطار اتجاه تقدمي؛ أما في الاتجاه الاسترجاعي (لاحظ الخطاطة (2))، فإن النظر إلى سلسلة الأحداث يكون من خلال منظور الحدث الذي وقع ثانيا (الحدث (ب): المغادرة صوب البيت)، فالمتكلم يجعل بؤرة اهتمامه على هذا الحدث المتأخر زمنيا، ليعود بنظره إلى الحدث الذي كان سابقا عليه في إطار اتجاه تراجعي.

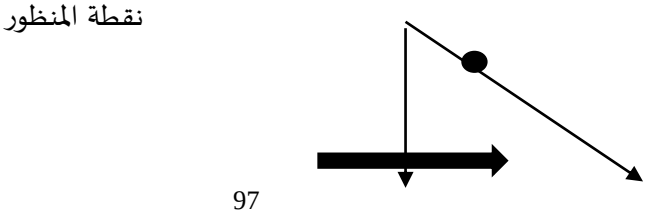

خطاطة (2): الاتجاه الاسترجاعي

وبعد استعراض المقولات الأربع، التي يتأسس عليها نظام المنظور عند أصحاب اللسانيات المعرفية،ومن خلال تصور(ليونارد تالمي) في كتابه (نحو دلالة معرفية)، أي مقولات: الموقع المنظوري والمسافة المنظورية والنمط المنظوري ثم اتجاه النظر، فإننا نأمل أن نستفيد من بعض هذه المفاهيم والتصورات، وخاصة من جهة فلسفتها التي تُجسدن اللغة وتربطها بإدراكاتنا وبحواسنا، من أجل تشغيلها في محاولة حل زمرة من الصعوبات التأويلية التي قد تكتنف فهم بعض الآيات القرآنية من سورة التكوير.

3- **المنظور إجراء تأويليا في سورة التكوير[19]:** سورة التكوير سورة مكية باتفاق، وهي من أوائل السور نزولا، جعلها الزركشي في المرتبة السادسة من حيث ترتيب النزول بعد العلق والقلم والمزمل والمدثر والمسد، وقبل سبح والليل والفجر والضحى[20]؛ وهي عادة ما تصنف في المرحلة المكية الأولى التي تدور محاور سورها على إثبات النبوة والربوبية والألوهية، والإقرار بالبعث والجزاء، ووصف مشاهد يوم القيامة.[21]

وتتألف السورة من مقطعين، قال سيد قطب: « هذه السورة ذات مقطعين اثنين تعالج في كل مقطع منهما تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة:

الأولى: حقيقة القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل كامل، يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء، والأنعام والوحوش، كما يشمل بني الإنسان.

والثانية: حقيقة الوحي، وما يتعلق بها من صفة الملك الذي يحمله، وصفة النبي الذي يتلقاه، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحي معه، ومع المشيئة الكبرى التي فَطَرَتهم ونزَّلت لهم الوحي.»[22].

وتتضمن هذه السورة، وخصوصا في المقطع الأول الذي سيكون مدار اشتغالنا، جملة من الكلمات التي اختلف فيها أهل التفسير، ونحن نذكر أهم المواضع التي تجلى فيها اختلافهم، وما ذهبوا إليه من أقوال مما وجدناه خاصة في تفاسير: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي، وروح المعاني للألوسي، ولعلها تحتوي كل ما قيل في الموضوع، حيث سنذكر أولا الآية ثم ما قيل فيها:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَاالنُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾

- تأويل1: أي تناثرت من السماء فتساقطت.
- تأويل2: أي تغيرت وانطمس نورها.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾

- تأويل1: النوق جمع عشراء وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها، وتعطيلها هو تركها سائبة.
- تأويل2: هي السحاب المتوقع مطرها.
- تأويل3: هي الديار التي تعطل فلا تسكن.
- تأويل4: هي الأرض التي يُعشر زرعها، تُعطل فلا تزرع.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾

- تأويل1: إذا الوحوش ماتت، فحشر البهائم هو موتها.
- تأويل2: إذا الوحوش اختلطت.
- تأويل3: إذا الوحوش جمعت
- تأويل4: إذا بعثت للقصاص.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾

- تأويل1: أي اشتعلت نارا وحميت وأوقدت.
- تأويل2: أي ملئت وفاض بعضها على بعض.
- تأويل3: أي ذهب ماؤها وغار ويبست.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

- تأويل1: أي زوجت الأرواح بالأجساد وردت إليها.
- تأويل2: أي جمعت كل نفس بما شاكلها، الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن.

- تأويل3: أي زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين.
  - قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ(15)الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾
- تأويل1: هي النجوم تخنس في مجراها فترجع فتكنس وتستتر في بيوتها.
- تأويل2: هي الكواكب الخمسة: بهرام (المريخ) وزحل وعطارد والزهرة والمشتري.
- تأويل2: هي بقر الوحش التي تخنس إلى مكانسها أي المواضع التي تأوي إليها.
- تأويل3: هي الظباء.

فلندع الآن هذه التأويلات ولنقبل على محتوى السورة، إذ نجدها تبتدئ بإيراد ست علامات كبرى تؤذن بانهيار النظام الكوني ونهايته، وحدوث الانقلاب الكبير الذي وعد به الله عز وجل في آيات عديدة من كتابه العزيز، إنها جملة من العلامات الكبرى ليوم القيامة، هذا اليوم العظيم الذي خلع عليه القرآن الكريم من الصفات ما يجعل القلوب منه تستطار، وتطفق العقول بسببه تذهل وتحار؛ يقول الله تعالى في محكم كتابه﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ(2)﴾(سورة الحج2).

وهذه العلامات الخارقة، وتلك الآيات الفارقة، موجهة بالأساس إلى الإنسان المطوق بأمانة التكليف، فهو المقصود بالخطاب، المدعو دوما لالتزام جانب الحذر من هول هذا اليوم العظيم، والإعداد ليوم الحساب والجزاء؛ وبذلك، إذا كان لنا من اختيار للموقع المنظوري الذي يمكن أن تتم منه ملاحظة هذه الآيات الكونية، فسيكون بلا شك على الأرض حيث يوجد الإنسان، الكائن المعني بكل هذه الحوادث.

وانطلاقا من نقطة المنظور الأرضية هذه، يدعو القرآن الكريم الإنسان أول ما يدعوه إلى تأمل الانقلاب الكبير الذي سيحدث على مستوى الأجرام العلوية، مستهلا بما ستتعرض له الشمس من التكوير، والنجوم من انكدار.

ونعتقد أن النمط المنظوري المعتمد في هذا المشهد هو من النمط الإجمالي الذي يلائم النظر من موقع منظوري ثابت مع نطاق اهتمام واسع وشامل، فأمام ذهول الإنسان وصدمته الكبرى مما يرى ويحس، فإنه سيظل جامدا لا يتحرك، فاغرا فاه مندهشا متخوفا من هول ما يقع، غير قادر على

الفهم والاستيعاب، جاحظا بعينيه في السماء، لا تهمه التفاصيل الدقيقة، ولا الجزئيات الصغيرة، ولكن ما يهمه أساسا هو النظر والانتظار.

وأما بالنسبة للمسافة المنظورية، أي تلك المسافة التي تفصل الموقع المنظوري عن الأشياء المعاينة، فالملاحظ أنها في تناقص وتضاؤل دائبين، في إطار اتجاه نظر رأسي تنازلي،فبعد وصف مشهد انهيار نظام العلامات السماوية العلوية من شمس ونجوم، تتقلص المسافة المنظورية وينزل مستوى المشهد المنظور لتنتقل بنا السورة القرآنية إلى دمار العلامات الجوية الوسطى الذي يفصح عنه قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، ثم تزداد المسافة تضاؤلا واتجاه النظر نزولا ليتعلق المشهد الأخير ببعض العلاماتالأرضية السفلية من خلال الحديث عن حشر الوحوش وسجر البحار في قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6)﴾.

ويمكن تمثيل تضاؤل المسافة المنظورية في إطار اتجاه النظر الرأسي النزولي في المشهد المذكور على الشكل التالي:

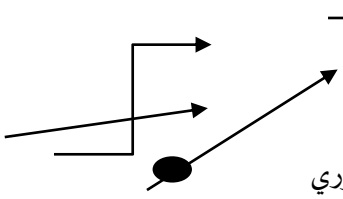

خطاطة (3): تمثيل المسافة المنظورية واتجاه النظر في المشاهد الأولى لسورة التكوير

وأما سبب هذا التضاؤل في المسافة المنظورية، وذلك النزول الرأسي في اتجاه النظر، فراجع إلى أن الانقلاب الكوني الذي سيحدث يوم القيامة أول ما يكون من السماء ومن الآفاق البعيدة، مصداقا لقوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت53)؛ ثم إن هذا التناقص في المسافة المنظورية، وذلك الاستهلال بالعلامات العلوية راجع أيضا إلى قيمة تلك العلامات عند المتلقي، فلطالما كانت السماء عند الإنسان عالما مسجورا بالغموض مفعما بالأسرار، دالا على العظمة والمطلقية، فهو مقام الاله ومنزل الأقدار...

إن هذا القانون التنازلي الذي يحكم المسافة المنظورية في انتقالها من العلامات العلوية إلى العلامات الوسطى، ثم إلى العلامات السفلية، يمكن أن يساعد في توجيه الإمكانات التأويلية التي تفحصها أولو النظر من المفسرين، للعمل على ضبطها والتدقيق فيها وفق ما يقتضيه السياق القرآني، ووفق ما تستدعيه متطلبات اعتبارات المنظور.

لقد سجلنا سابقا بعضا من الاختلافات التأويلية التي تلبست بقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، بين من رأى أن العشار هي النوق أو الأرض أو المنازل، وكلها معان مقبولة مستحسنة، تساير جوّ السورة وتكشف عن حالة الفزع الكبرى التي سيعيشها الإنسان لما يواجَه بتلك الانقلابات الكونية، غير أن هذه التأويلات تطرح إشكال الترجيح، فكيف نقدم تفسيرا على آخر؟ وما معيار هذا التقديم إذا كان لكل تأويل وجه من الصحة ونصيب من المقبولية؟

فبالرغم من أن عددا كبيرا من المفسرين نحا إلى اعتبار المقصود من العشار المعطلة النوق الحوامل في شهرها العاشر، التي عرف عن العرب تنافسهم فيها وإقبالهم عليها، فإذا هم يوم القيامة لها مهملون، وعنها معرضون، من شدة الهول النازل بهم، بالرغم من ذلك كله، فإن هذا التأويل يبدو منفصلا عما قبله، مستقلا بالصورة التي يشكلها عن الصورة الكلية التي أنشأتها المشاهد الأولى للسورة، خاصة إذا ما تم استحضار خصوصية المسافة المنظورية وتغيرها والانتقال الذي طرأ على مجال النظر عن طريق التدلي من النظر إلى العلامات العلوية حيث الشمس والنجوم، إلى العلامات الوسطى حيث الجبال، ثم إلى الآثار السفلية حيث الوحوش والنفوس؛ ولعل الأنسب هو الأخذ بقول من قال إن العشار هنا هي السحاب التي تعانق رؤوس الجبال، فتكون بذلك منضوية رفقة الجبال في مستوى العلامات الوسطى، في إطار حركة منظورية نازلة من عنان السماء إلى أجواء الأرض؛ ويعد الفخر الرازي من المفسرين القلائل الذين تبنوا هذا الطرح، وأشادوا بمعقوليته وروده، حيث قال: «العشار كناية عن السحاب تعطلت عما فيها من الماء، وهذا وإن كان مجازا إلا أنه أشبه بسائر ما قيله، وأيضا فالعرب تشبه السحاب بالحامل، قال تعالى ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (الذاريات2)»[23]، وهو ما أكده الألوسي أيضا من خلال التركيز على عنصر المناسبة التي يشيدها هذا التأويل، حيث قال: « قيل المراد بالعشار السحاب على تشبيه السحابة المتوقع مطرها بالناقة العشراء القريب وضع حملها وفيه استعارة لطيفة مع المناسبة التامة بينه وبين ما قبله فإن السحب تنعقد على رؤوس الجبال وترى عندها»[24].

وقد يقول قائل أنّ اعتبار هذا التأويل الناهض على القبول بكون العشار هي النوق الحوامل، له وجه من المناسبة أيضا مع محيطه النصي متى ما تم اعتبار المناسبة البعدية لا القبلية، أي تلك التي تطلب الوحدات النصية الواردة بعديا، فيتم بذلك الجمع بين العشار والبحار والوحوش في مشهد واحد، على أنها مكونات وأطراف تنتمي إلى الآثار السفلية المتعلقة بالمنظور الأرضي، وهو ما ألمح إليه الألوسي بقوله:« ولا ينافيه كونه مناسبا لما بعده»[25]،وشتان بين تعليقه عن المناسبة الأولى بأنها تامة، وبين تلميحه هذا.

ولكن هذا التوجيه يطرح إشكالا مزدوجا يتعلق بطبيعة الانسجام الذي يتحكم في مكونات المشاهد القرآنية المشكلة للمقطع الأول من السورة، فمن ناحية أولى سنكون أمام مستويات منظورية غير متجانسة من حيث عدد المكونات وطبيعتها، حيث سيتم الانتقال من مستوى العلامات العلوية الذي يتضمن مكونين: الشمس والنجوم، إلى مستوى أوسط يختص بالجبال فقط، ثم إلى مستوى ثالث هو مستوى الآثار السفلية الذي يحوي ثلاثة مكونات: العشار بمعنى النوق، والوحوش والبحار؛ وواضح مدى الاختلال البنيوي الناتج عن هذا التأويل.

ومن جهة ثانية، يؤدي هذا التأويل إلى ضياع التوازي التقابلي المشكل للعلامات الاثنتي عشر الواردة في المقطع الأول من السورة، حيث يقابل مكونا كل مستوى نظيريهما في المستوى المماثل،في إطار تقابل في اتجاه النظر نزولا وصعودا كما هو ظاهر في الشكل التالي:

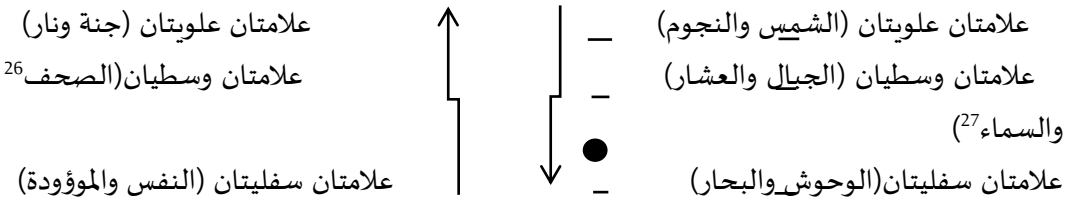

خطاطة (4) تمثل تدلي وترقي المنظور في المقطع الأول من سورة التكوير

وإذا تبين أن تأويل العشار بالسحاب أقرب إلى جو السورة، وأشد تناسبا مع سيرورة المشاهد المنظورة في السورة المدروسة، فإنه يمكن تعزيز هذا التأويل أيضا من خلال التوسل بمفهوم منظوري آخر، هو طبيعة الحركة الداخلية للمشاهد، وهو مفهوم نقترحه لإغناء العدة الإجرائية لإطار المنظور كما جاءت به اللسانيات المعرفية، فإذا كان (تالمي) ركز في تصوره على اتجاه النظر في مقولته الرابعة، فإننا سنولي اهتماما خاصا باتجاه الحركة الداخلية المهيمنة على المشاهد المشكلة للمقطع الأول من السورة.

فبالرجوع للآية النواة التي تشكل بؤرة سورة التكوير، أي قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، نجد أن فعل التكوير يعكس حركة داخلية موجهة إلى قلب المشهد المنظور، فحَقِيقَتُهُ الجمع والضم والشد، وَذلك مِنْ كَلامِهِمْ : كُرْتُ الْعِمَامَة عَلَى رَأْسِي أَكُورُهَا وَكَوَّرْتُهَا أُكَوِّرُهَا إِذَا لَفَفْتَهَا، وكور المتاع إذا ألقي بعضه على بعض وجمع وشد[28].

فالحركة الداخلية الأساسية في بؤرة سورة التكوير هي حركة موجهة صوب المركز، قائمة على الجمع والضم واللف والطي، وهي حركة يمتد أثرها ليظهر جليا في باقي مشاهد السورة، ابتداء من

انكدار النجوم في الأعلام العلوية، حيث أنّ انكدارها ليس إلا خفوتا لضوئها وانكفاء لأشعتها إلى الداخل؛ والأمر نفسه يقال بالنسبة لقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6)﴾، فحشر الوحوش والبهائم هو جمعها، كما أن تسجير البحار هو ملؤها حتى تجتمع مياهها فتصبح بحرا واحدا، وكذلك تزويج النفوس، وأيضا كشح السماء أي إزالتها بطيها، وإزلاف الجنة هو إدناؤها وتقريبها...

وقد تنبه ابن الزبير الغرناطي إلى هذه السمة المميزة لسورة التكوير في كتابه ملاك التأويل الذي عني فيه بالمتشابه اللفظي، جاعلا إياها مفتاحا تأويليا لبيان اختصاص سورة التكوير بقوله تعالى﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، وسورة الانفطار بقوله عز وجل﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾.فمدار السورة الأولى على الاجتماع والائتلاف، بينما مدار السورة الثانية على الانفجار والانتشار[29].

فإذا كان الأمر كما تم بيانه، وكانت الحركة الداخلية لسورة التكوير حركة موجهة نحو المركز، قائمة على الاجتماع والالتفاف، فإن تأويل العشار المعطلة بالنوق السائبة المهملة المتخلى عنها، يجعلنا أمام حركة داخلية مخالفة لما هو سائد في السورة، فترك النوق تذهب حيث تشاء يوحي بحركة داخلية افتراقية انتشارية تبددية، لا اجتماع فيها ولا التفاف؛ أما إذا أولنا العشار بالسحاب المحملة بالمطر، فإن تعطيلها هو انحباس مطرها عن النزول لعارض من العوارض، وحركة الانحباس فيها زم وضم، وهو ما ينسجم مع الحركة الداخلية للسورة.

وانطلاقا من هذه الحركة الداخلية المميزة لسورة التكوير، يمكن توجيه بعض معاني آياتها بترجيح تأويل على آخر، فتأويل تكوير الشمس بجمع بعضها على بعض أولى من تأويله برميها والإلقاء بها، وتأويل انكدار النجوم بذهاب ضيائها واضمحلال نورها أقرب من تأويله بتناثرها وتساقطها، وتأويل حشر الوحوش باجتماعها واختلاطها أنسب من تأويله بموتها، وتأويل تسجير البحار باجتماع مياهها حتى تصير بحرا واحدا، أعلقب السياق من تأويله باشتعالها وإيقادها.

ونصل إلى قوله تعالى﴿ فَلَاأُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ(15)الْجَوَارِي الْكُنَّسِ(16)﴾، فنقول إن بعض المفسرين انطلقوا من المشهور في اللغة من معنى المكانس، فهي عند العرب المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، معتبرين أن القسم هنا بالبقر الوحشي أو الظباء التي تخنس إلى مكانسها؛ وبالرغم من إشارة الطبري إلى أن الخنس قد تكون النجوم، فإنه لم يجد من القرائن النصية ما يجعله يقدم تأويلا على تأويل، أو يرجح قراءة على قراءة، حيث قال: «...ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحيانا،

والجري أخرى، والكنوس بآنات...»[30]، ونعتقد أن اعتماد مقولات المنظور يمكن أن يقدم القرينة على ذلك.

إن سورة التكوير كما ذكرنا، تتميز في بدايتها باتجاه منظوري رأسي تنازلي، حيث تم تصويب المنظور نحو العلامات العلوية المتمثلة في الشمس والنجوم، ليكون الانتقال بعد ذلك إلى العلامات الوسطى حيث الجبال والعشار، وصولا إلى العلامات السفلية حيث البحار والوحوش؛ وانطلاقا من هذا المستوى الأرضي تبتدئ سلسلة أخرى من المشاهد باتباع اتجاه منظوري عكسي، قائم على حركة رأسية تصاعدية، إذ تبدأ زاوية النظر بالارتفاع والترقي، فيكون المنظور في أول أمره مصوبا نحو مستوى القبور في باطن الأرض حيث تزوج النفوس بالأجساد، وتخرج الموؤودة لتسأل عن قاتلها، فتترقى تلك الزاوية لتبلغ صعيد السماء لتصف حالة تطاير الصحف وكشط السماء، ثم ليُرد المنظور مرة أخرى إلى مستوى العلامات العلوية حيث الجنة التي يتم إزلافها والجحيم التي يتم تسعيرها؛ وبذلك تشكل حركة المنظور في هذا المقطع الأول من سورة التكوير دائرة كاملة، تنطلق من العلامات العلوية وتعود إليها؛ ويأتي بعد ذلك قوله تعالى﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِي الْكُنَّسِ (16)﴾ حيث يكون المنظور مازال موجها صوب تلك المواقع العلوية، مما يجعل تأويلها بالبقر والظباء أمرا غير مناسب لما قبلها ولا لما بعدها، فالأنسب هو اعتبار الخنس هنا تلك النجوم التي ذهب ضوؤها، فأصبحت ثقوبا سوداء تجري كانسة وجاذبة، بفعل قوة جاذبيتها،لكل ما يأتي في طريقها.

وفي الختام، يمكن القول إن هذه النتائج التي عملت هذه المقالة على تجليتها والإفصاح عنها، تجعلنا ندعو إلى:

- اعتبار مفاهيم المنظور وما تعلق بها من مقولات في الفهم والقراءة عموما، وفي تأويل النص القرآني خصوصا.
- استحضار حاسة البصر خصوصا والحواس عموما، وكل ما له علاقة بالتجربة الجسدية الإنسانية خصوصا، في بناء معاني النصوص.
- إغناء علم التناسب القرآني بمفاهيم جديدة مستمدة من اللسانيات المعرفية كالمنظور والمسافة المنظورية واتجاه النظر...
- اقتراح مقولات جديدة لتثمير مفهوم المنظور في الدلالة المعرفية لـ(ليونارد تالمي) من خلال مقولة الحركة الداخلية للمشاهد.

الهوامش:

[1] - Dauzat Albert &Dubois Jean &Mitterand Henri, Nouveau Dictionnaire étymologique et Historique, p.556.

[2]- نقطة التلاشي وتعرف أيضاً باسم نقطة الفرار وهي النقطة أو المحور الشاقولي والتي تنتهي إليها كافة الخطوط المتوازيةفي الواقع لدى إسقاطها في المنظور، فرسم الطاولة والكرسي في الصورة أسفله ينطلق من نقطة التلاشي:

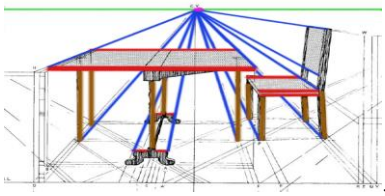

[3] -http://architectteba.blogspot.com/2013/03/blog-post.html.

[4]- المونادولوجيا: يعتبر (لايبنتز) أن الكون عبارة عن مجموعة من المركبات الفكرية المطبقة بأجمل صورة، ولكل مركب أجزاء دقيقة، ولكل جزء دقيق أجزاء أدق وهلم جرا، حتى يصل في مراحل التكوين الأخيرة إلى جزء غير قابل للانقسام، يطلق عليه تسمية المونادات، ويعني بها جسيمات غير مادية وغير قابلة للتجزئة؛ والموناد مفهوم أساسي في فلسفة لايبنتز، إذ تحدّث عنه بإسهاب في كتابه "المونادولوجيا"، وهو باختصار "جوهر بسيط مغلق لا يقبل التغيير، وهو الروح العقلي للإنسان". ينظر: الحاج كميل، الموسوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2000، ص583 .

5 -Jan D. ten Thije, Notions of perspective and perspectivisingin intercultural communication research,inBeyond Misunderstanding: Linguistic analyses of intercultural communication. Edited by Kristin Bührig and Jan D. ten Thije [Pragmatics & Beyond New Series 144] 2006 , pp. 97–151,p.99.

6-Carl Friedrich Graumann,Explicit and implicit perspectivity, in Perspective and Perspectivation in Discourse, Edited by Carl Friedrich Graumann Werner Kallmeyer John benjamins publishing, 2002, pp25-40, p.30.

7-ibidem.

[8]- استفدنا في تتبع مدلولات المنظور ووجهة النظر في السرد من مقالة الدكتور محمد عزام: الراوي والمنظور في السرد:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=43887
آخر زيارة: الأحد3دجنبر2017.

[9]- فضلنا ترجمة معرفية مقابلا لـ cognitif، بالنظر أولا إلى اشتهار هذه الترجمة، فمنذ سبعينات القرن الماضي واللسانيون التوليديون يستعملونها، خاصة المغاربة منهم، ومن جهة أخرى لاعتقادنا أن الترجمات المقترحة الأخرى لا تفي بالغرض، إما لقصورها كما هو الشأن مع الإدراكية، حيث يعد الإدراك perception مكونا واحدا من مكونات

المعرفية cognition، أو لعدم قدرتها على تحقيق الوظيفة التعيينية الواجبة في المصطلح، فالعرفان والعرفنة متعلقة أكثر في مجالنا التداولي العربي الإسلامي بجانب التصوف.

[10]- Vyvyan Evans & Benjamin Bergen &Jorg Zinken, in The cognitive linguistics reader, Equinox, London, 2007, p.2

11 -Dirk geeraerts, cognitive linguistics,Basic readings, Mouton de gruyter, Berlin, 2006,p.2.

12 - Leonard Talmy, TOWARD A COGNITIVE SEMANTICS, VOLUME I : CONCEPT STRUCTURING SYSTEMS , Massachusetts Institute of Technology, 2000.

[13]- يعنى هذا النظام بالبحث في الكيفية التي تبنين بها اللغة الزمان والمكان، من خلال التركيز على طبيعة العناصر المشكلة للغة، هل هي محددة أو غير محددة، قابلة للتقسيم أو غير قابلة، درجة امتدادها، أشكال توزيعها، حركيتها...

[14]- يبرز هذا النظام العلاقة القائمة بين أشكال التعبير اللغوي وبين أنماط توزيع الانتباه والاهتمام على الأحداث أو المشاركين، وقد ركز (تالمي) خاصة على تحديدالعلاقات بين الواجهة والخلفية (Figure - Ground).

[15]- يسعى هذا النظام إلى إبراز الطابع الصراعي الناتج عن تدافع القوى الدينامية في اللغة، فكل ملفوظ يصور بوصفه مشهدا لنظام من القوى المتعارضة.

[16]- وهي مسألة فيها نظر كما يبدو، إذ أن اللجوء لعدم ذكر المتدخل في الحدث لا يتعلق دوما بمدى حضوره أوغيابه عن مجال رؤية المتكلم ، فقد يلجأ إلى هذا الأمر مع العلم بالفاعل لتحقيق جملة من المقاصد التداولية.

17- There some houses in the valley.

18- There is a house every now and then through the valley.

[19]- لا بد لنا أن نشير أن هذه المقالة عموما، وعملية اختيار السورة خصوصا، تدين بالشيء الكثير لبعض الإشارات اللامعة لصلاح نيازي في مقالته: من تقنيات الترجمة، مجلة أوان البحرينية، العدد 9، 2005، [150-163].

[20]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دت، 193/1.

[21]- ينظر:

- محمد عابد الجابري، فهم القرآن الكريم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الأول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص35.

[22]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط10، 1982، 3836/6.

[23]- فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981، 68/31.

[24]- أبو الفضل محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، 51/30.

[25]- نفسه.

[26]- اعتبرنا أن عملية نشر الصحف تتم في المستوى الأوسط، أي مستوى الجو، بالنظر إلى تطايرها، وذكر مجموعة من المفسرين كابن كثير والبغوي والثعلبي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدالٌ ومعاذيرُ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله." رواه ابن ماجة والترمذي.

[27]- السماء هي كل ما علا الانسان وأظله، ونميل إلى اعتبار كشط السماء هو إزالتها بطيها مصداقا لقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)﴾ (الأنبياء 104).

[28]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، مادة (ك.و.ر).

[29]- ابن الزبير الثقفي الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2007، ص1138.

[30]- ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق هاني الحاج وعماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2004، 82/16.

-المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الألوسي أبو الفضل محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء الثراث العربي، بيروت، دت.
- الإفريقي ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت.
- الجابري محمد عابد، فهم القرآن الكريم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الأول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 2008.
- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دت.
- الحاج كميل، الموسوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1،2000.
- الطبري ابن جرير، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق هاني الحاج وعماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية،القاهرة، 2004.
- نيازي صلاح، من تقنيات الترجمة، ضمن مجلة أوان البحرينية، العدد 9، 2005، [150-163].
- قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط10، دت.
- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981.

- الغرناطي ابن الزبير الثقفي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2007.
- Dauzat Albert &Dubois Jean&Mitterand Henri, Nouveau Dictionnaire étymologique et Historique, Références Larousse, Paris, 1989.
- .Dirk geeraerts, cognitive linguistics,Basic readings, Mouton de gruyter, Berlin, 2006
- Graumann Carl Friedrich,Explicit and implicit perspectivity, in Perspective and Perspectivation in .Discourse, Edited by Carl Friedrich Graumann Werner Kallmeyer John benjamins publishing,2002
- Patridge Eric, Origins A short etymological dictionary of modern english, Routledge,2006.
- Talmy Leonard,toward a cognitive semantics, volume1: concept structuring systems,Massachusetts Institute of Technology,2000.
- Ten Thije Jan D, Notions of perspective and perspectivising in intercultural communication research,in Beyond Misunderstanding: Linguistic analyses of intercultural communication. Edited by Kristin Bührig and Jan D. ten Thije [Pragmatics & Beyond New Series 144] ,2006.
- Vyvyan Evans & Benjamin Bergen &Jorg Zinken, The cognitive linguistics reader, Equinox,London, .2007
- مواقع على النت:
- http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=43887
- http://architectteba.blogspot.com/2013/03/blog-post.html